الصاعقة الثالثة بعد المئة: عقبى اليمينِ على عقبى الوغى ندمُ(*)

عُقبى اليمينِ على عقبى الوغى ندمُ ... ماذا يزيدكَ في إقدامكَ القسَمُ

وفي اليمينِ على ما أنتَ واعدهُ ... ما دلَّ أنكَ في الميعادِ متهَمُ

آلى الفتى ابن شمشقيق فأحنثَهُ ... فتى منَ الضربِ تُنسى عنده الكلِمُ

وفاعلٌ ما اشتهى يغنيه عن حلفٍ ... على الفعالِ حضورُ الفعلِ والكرَمُ

كلُّ السيوفِ إذا طالَ الضرابُ بها ... يمسّها غيرَ سيف الدولة السأمُ

لو كلّتِ الخيلُ حتى لا تحمَّلهُ ... تحمّلتْهُ إلى أعدائه الهمَمُ

أينَ البطاريقُ والحلفُ الذي حلفوا ... بمفرقِ الملكِ والزعمُ الذي زعَموا

ولى صوارمَه إكذابَ قولِهمُ ... فهنَّ ألسنةٌ أفواهُها القمَمُ

نواطقٌ مخبراتٌ في جماجِمِهمْ ... عنه بما جهلُوا منه وما علمُوا

الراجعُ الخيلَ محفاةً مقوّدةً ... منْ كلّ مثلِ وبارٍ أهلُها إرَمُ(١)

كتلّ بطريقِ المغرورِ ساكنُها ... بأنَّ دارك قنسرينُ والأجَمُ

وظنهمْ أنكَ المصباحُ في حلبٍ ... إذا قصدتَ سواها عادها الظُّلَمُ

والشمسَ يعنون إلا أنهم جهلوا ... والموتَ يدعُون إلا أنهم وهَموا

(*) مناسبة القصيدة: قالها وقد تُحدث بحضرة سيف الدولة أن البطريق أقسم عند ملكه إنه يعارض سيف الدولة في الدرب، وسأله أن ينجده ببطارقته وتمدده وعُدده، ففعل، فخاب ظنه.

(١) وبار: مدينة قديمة.

فلم تتمّ سـروجٌ فـتحَ ناظرِها ... إلا وجيشُك في جفنيْه مُزدَحِمُ
والنقعُ يأخذُ حرّانًا وبقعتَهَا ... والشمسُ تسفرُ أحيانًا وتلتثِمُ
سحبٌ تمرّ بحصن الرانِ ممسكةً ... وما بها البخلُ لولا أنها نِقَمُ
جيشٌ كأنكَ في أرضٍ تطاولهُ ... فالأرضُ لا أممٌ والجيشُ لا أممُ[1]
إذا مضى علمٌ منها بدا علمٌ ... وإن مضى علمٌ منهُ بدا علمُ
وشزَّبٌ أحمتِ الشعرى شكائمَها ... ووسَّمتْها على آنافِها الحكمُ[2]
حتى وردْنَ بسمنين بحيرتَها ... تنشُّ بالماءِ في أشداقِها اللجمُ[3]
وأصبحتْ بقرى هنزيطَ جائلةً ... ترعى الظبى في خصيبٍ نبتُه اللممُ
فما تركنَ بها خُلدًا لهُ بصرٌ ... تحتَ التـرابِ ولا بازًا له قدمُ
ولا هزبرًا له منْ درعِه لبدٌ ... ولا مهاةً لها منْ شبهِها حشمُ
ترمي على شفراتِ الباترات بهمْ ... مكامنُ الأرضِ والغيطانُ والأكمُ[4]
وجاوزوا أرسناسًا معصمينَ به ... وكيفَ يعصمُهُمْ ما ليسَ ينعصِمُ
وما يصدُّكَ عن بحرٍ لهمْ سعةٌ ... وما يردُّكَ عن طودٍ لهمْ شممُ
ضربتَهُ بصدورِ الخيلِ حاملةً ... قومًا إذا تلفوا قُدمًا فقدْ سلموا

---

(١) الأمم: القرب.
(٢) الشزب: الضوامر. الشعرى: نجم. الشكائم: جمع شكيمة: الحديدة المعترضة في فم الفرس. التوسيم: الكي. الحكم: جمع حكمة: ما أحاط من اللجام بالحنك.
(٣) النشيش: صوت الماء إذا غلي.
(٤) الغيطان: جمع غائط: المطمئن الواسع من الأرض.

تجـفَّلُ الموجُ عن لبَّـاتِ خـيلِهِمِ ... كـمـا تجـفَّلُ تحتَ الغـارةِ النَّعمُ

عـبـرْتَ تقـدمُـهُم فـيـه وفي بلدٍ ... سكَّانه رممٌ مـسكونُهـا حـممُ

وفي أكـفِّـهـم النارُ التي عُـبـدتْ ... قـبلَ المجـوسِ إلى ذا اليـومِ تضطرمُ

هنديةٌ إنْ تصغّرْ معشـراً صغُـروُا ... بحـدّها أو تعظّمْ مـعشـراً عظُمُـوا

قـاسـمْـتَـهـا تل بطريقٍ فكانَ لهـا ... أبطالُهـا ولكَ الأطفـالُ والحـرَمُ

تلقَى بهمْ زبدَ التـيّـارِ مـقـربةٌ ... على جـحـافِلِها منْ نضـحِـهِ رثمُ[1]

دهمٌ فـوارِسُـهـا ركَّـابُ أبطُنِهـا ... مكدودةٌ وبقـومٍ لا بهـا الألمُ

منَ الجـيـادِ التي كِـدْتَ العدوّ بهـا ... ومـا لهـا خِلَقٌ مِنهـا ولا شـيـمُ

نتـاجُ رأيِكَ في وقتٍ على عـجلٍ ... كلفظِ حـرفٍ وعـاهُ سـامعٌ فَـهِمُ

وقـد تمنَّوْا غـداةَ الدربِ في لجبٍ ... أن يبـصـرُوك فلمَّـا أبصـرُوكَ عـمـوا

صـدمْـتَـهُمْ بخـمـيسٍ أنتَ غـرّتهُ ... وسـمـهـريتُـهُ في وجـهِـهِ غـممُ[2]

فكانَ أثبتُ مـا فـيـهمْ جـسومَـهُمُ ... يسـقـطنُ حـولَك والأرواحُ تنهـزمُ

والأعـوجـيَّـةُ ملءُ الطَّرقِ خلفَـهُمُ ... والمشـرفـيَّـةُ ملءُ اليـومِ فـوقـهمُ[3]

إذا توافـقتِ الضـرباتُ صـاعـدةً ... توافـقتْ قللٌ في الجـوّ تصطدمُ

---

(١) الجحافل: جمع جحفلة: وهي لذي الحافر بمنزلة الشفة للإنسان. الرثم: بياض في جحفلة الفرس العليا.

(٢) الغمم: كثرة شعر الناصية.

(٣) الأعوجية: خيل منسوبة إلى أعوج، وهو فرس كريم كان لبني هلال.

وأسلمَ ابن شمشقيق أليَّتهُ ... ألا انثنى فهوَ ينأى وهي تبتسمُ

لا يأملُ النَّفَسَ الأقصى لمهجتهِ ... فيسرقُ النَّفَسَ الأدنى ويغتنمُ

تردّ عنه قنا الفرسانِ سابغةٌ ... صوبُ الأسنةِ في أثنائِها ديمُ

تخطُّ فيها العوالي ليسَ تنفذُها ... كأنَّ كلَّ سنانٍ فوقَها قلمُ

فلا سقى الغيثُ ما واراهُ منْ شجرٍ ... لو زلّ عنه لوارتْ شخصَهُ الرَّخمُ

ألهى الممالكَ عن فخرٍ قفلتَ به ... شربُ المدامةِ والأوتارُ والنغمُ

مقلداً فوق شكرِ اللهِ ذا شُطبٍ ... لا تستدامُ بأمضى منهُما النِّعمُ[1]

ألقتْ إليك دماءُ الرّومِ طاعتَها ... فلوْ دعوت بلا ضربٍ أجابَ دمُ

يسابقُ القتلُ فيهمْ كلّ حادثةٍ ... فما يصيبُهُمُ موتٌ ولا هرمُ

نفتْ رقادَ عليٍّ عن محاجرِهِ ... نفسٌ يفرّحُ نفساً غيرَها الحلمُ

لا تطلبنَّ كريماً بعدَ رؤيتهِ ... إنَّ الكرامَ بأسخاهُمْ يداً خُتمُوا

ولا تبالِ بشعرٍ بعدَ شاعرِهِ ... قد أُفسِدَ القولُ حتى أحمدَ الصممُ

(١) الشطب: جمع شطبة: الطريقة في متن السيف.